

كأنما البيض بالأيدى صوالجة
لم يبق منهم كم غير منجدل
يلعبن فى ساحة الهيجاء بالقمم
على الرغام وعضو غير منحطم

إن هذا جيد من شعر ورائع من تصوير لمعركة دائرة الرحى من أجل الدين القويم. إن البارودى فيما قال لا يعدو الحقيقة، أو على التوضيح والتقريب، نقول إن خياله فى معظمه خيال تقريرى وليس خيالا إبداعيا إنه يصف المشركين وهم يخرن صرعى ولا يتجاوز الحقيقة فيما هو قائل، ويعجبني تشبيهه الصوارم بالصوالج والرءوس بالكرات كما يذكرنى بأن البارودى متأثر بثقافته الفارسية والتركية لأن ذكر الكرة والصولجان دائم الدوران فى الشعر الفارسى والتركى. أما فيما يتعلق بتأثره بالشعر الفارسى والتركى. فالتعويل فيه على ما ذكر عنه من درسه، فقد قيل عنه إنه كان شاعرا مطبوعا، تثقف بأداب العرب والفرس والتركى^(١).

ونزيد تلك المعلومة إيضاحا فنقول: إن التركية كانت فى عهد البارودى لغة الحكام والعسكريين والإداريين. فكان حتما على أن يكون على علم بها، ولما كان البارودى شاعرا جرى على عادة أدباء الترك فى علمهم بالفارسية واطلاعهم على آدابها، ومن هنا عرف الفارسية، واقتبس عن شعرائها، كما أنه ترجم أبياتا فارسية إلى الشعر العربى.

فهذه صورة بيانية طالما تجلت فى الشعر الفارسى والتركى المتأثر به فلزم الإشارة إليها. والبارودى ناطق عن قلبه الخفاق بالإيمان، فهو يذكر عن المصطفى ﷺ بدرا لاح له بدر بدد دياجر الكفر، فهو بذلك يحدد ما يريد أن يعبر عنه، كما لا ينسى أنه يوم مشهود من أيام الدين. إنه لا يكتفى بوصف المحاربين وهم يصلون ويجولون وهم المسلمون ولا يصف المشركين وهم ينكسرون أنجس كسرة بل إنه يذكر فى هذا وقد امتلأ فخرا وكاد يسجد لله شكرا.

ونمضى مع البارودى إلى أن نبلغ ذكره لعزوة أحد التى يقول فيها:

ثم استدارت رحى الهيجاء فى أحد
بكل مفترس للرقن ملتهم
يوم تبين فيه الجند واتضححت
جليلة الأمر بعد الجهد والسأم
قد كان خيرا وتمحيصا ومغفرة
للمؤمنين وهل براء بلا سقم؟

(١) د. محمد صبرى أدب وتاريخ واجتماع ص ٥٥ القاهرة ١٩٥٠.